دراسات وبحوث:

دراسَةٌ مَعرفيَّةٌ لمَسألَة إسكَان آدم عليه السلام في الجَنَّة البرزَخيَّة وَهُبُوطه منهَا حَسبَ رُؤيَة الحُكَماء الصَّدرائيّين الجُدُد[1]

محمد علي أكبري[2] **نفيسه فياض بخش**[3]

المترجم: **محمد فراس الحلباوي**[4]

ملخّص

يَختَّص هذا البحث، بدراسة آراء الحُكماء الصَدرائيّين الجُدُدْ، وتأليفاتهم المُستندة إلى النُّصوص الدّينيَّة بخصوص "ضرورة الإسكان الأولي لآدم(ع) في الجنة". لقد كان يَرَى هؤلاء الحُكماء بأنَّ البشريَّة عليها أن تبدأ مسارها وحركتها من مقام البرزخ النُّزولي، وتَعبرُ من العالم المادّيّ بكَثراته، وتَطوي حياتها التَّكامليَّة وحركتها التَّصاعُديَّة بإرادتها واختيارها نحو عالم العقل ووحدته[5]، لذلك -حسب التعبير القرآني- لقد بدأ آدم عليه السلام سيرورته الأرضيَّة من الجنَّة البرزخيَّة، وفي تلك الجنَّة تلقَّى التَّعليمات المَبدئيَّة وتعلَّمها، من قبيل الأسماء الإلهيَّة وحقيقة مقام الخلافة الإلهيَّة، وكونه مسجودًا للملائكة، ليستفيد منها في حياته على الأرض، وقد تعرَّف كذلك على الوَساوس الشَّيطانيَّة، وأدرك مدى عداوة إبليس الشَّديدة لمقام الإنسانيَّة، ثمَّ أُهبِطَ محمَّلاً بهذه التَّعاليم والثَّروة إلى الأرض. وبالتَّالي، فإنَّ حُضورَ آدم في الجنَّة كان بناءً على مصلحةٍ عظيمةٍ تسمو به كمالاً، وينبغي له أن يستقر في ملكوت هذا العالَم ليهبط بعد ذلك خارجه.

الكلمات المفتاحية: آدم عليه السلام، البرزخ الأولي، ملا صدرا، الصدرائية الجديدة، الهبوط.

---

١ - مجلة فلسفة الدين، الدورة١٦، العدد٣، خريف ٢٠١٩/ الصفحات ٤٧٧-٤٥٩ (مقالة بحثيّة)/ تاريخ الاستلام: ٢٠١٩/١/٨ - تاريخ القبول ٢٠١٩/٧/١٤

٢ - طالب دكتوراه في قسم الفلسفة والكلام الإسلامي، الجامعة الحرَّة الإسلاميَّة، فرع طهران المركزي، طهران، إيران.

٣ - أستاذ مساعد في الجامعة الحرَّة الإسلاميَّة، فرع طهران المركزي، طهران، إيران.

٤ - دكتوراه في اللغة الفارسيَّة وآدابها، جامعة طهران، ترجمان محلف

٥ - في المصطلح الفلسفي العبور من الكثرة إلى الوحدة (م).

مقدّمة

إنَّ حكايــة إسكان آدم ﷺ في الجنَّــة، وتعليمه الأسماء، وسجودِ الملائكــة له، ووَسوَسة الشَّــيطان لــه، ثُمَّ هبوطــه إلى الأرض، هي من القصــص المُتداوَلة في كُتــب العهد القديم والجديــد[1] والقرآن الكريــم، ولكنَّ كُلاًّ منها يُقدّم تفســيرًا خاصًّا به، ووفقًــا لفهمه لحقيقة الإنسانيَّة ومقامها. ففي القُرآن الكريم، يُركِّز على هذه القصَّة بأهميَّة خاصَّة في آيات مُتعدّدة. كما أنَّ وفرة الآيات التي تُشير إلى خلق الإنسان من طين، وسجود الملائكة لآدم ﷺ، وقصَّة خلافتــه للــه، ووَسوَسة الشَّــيطان له، هي على نحــو لا يُتيح لأيّ من مُفــسريّ القُرآن، سواءً أكانوا من الشّــيعة أم السُّنَّة[2]، أن يتجاوزها بسهولة. لذلك، فإنَّ المَوضوع الذي خُصّص له هذا المقال هو رؤيــة الفَلاسفَة الصَّدرائيّين والصَّدرائيّين الجدد في هذا الخصوص، وجديرٌ بالذّكر، أنَّ الدّراسات التي أُجريت في مجــال "الأنثروبولوجيا- Anthropology"، غالبًا ما تُركّز على وظائف الإنســان السَّــاكن على وجه الأرض وأهدافه ومســؤوليَّاته، وقلَّما تَناولت ضرورة وجود الإنسان في الجنَّة الأولى، أو الحياة في ما قبل عالَم البشريَّة؛ في حين أنَّ وفرة المَصادر الوحيانيَّة في الإسلام والأديان التَّوحيديَّة التي سبقته، فيما يتعلَّق بحياة آدم ﷺ في الجنَّــة الأولى، تدلُّ على أهميَّتها. نَعتزم في هذا البحث، إثراء مضمونه وتبيّين هذه المســألة فلسفيًّا، برؤية الفلاسفة الصَّدرائيّين الجُدُد.

النُّقطــة المهمَّــة التي ينبغي الانتباه إليها فيــما يتعلَّق بأهميَّة هذا البحث، هــي الارتباط الوَثيق

---

١ - الكتاب المقدَّس: سفر پيدايش [سِفر التكوين]، الباب ١، ص١٦-١٧.

٢ - علي بن إبراهيم القمّيّ: تفسير القمّيّ، ج١، ص٤٤؛ عبد الله عمر البيضاويّ: أنوار التنزيل أسرار التأويل، ج١، ص٧٢.

والمباشر لقصَّة آدم عليه السلام بحقيقة مَقام الإنسانيَّة أو معرفة النَّفس. إنَّ البحثَ حول معرفة الجنَّة البرَزخيَّة، ينصَبُّ على معرفة مقام الآدميَّة، والتي تتمثَّل إحدى مراحلها في تعليم الأسماء الإلهيَّة، وتلقّي كلمات الربّ في المرحلة التَّالية، والفرق بينهما يكمُن في الإجمال والتَّفصيل.[١] وهنا، تُعتبر الأصالة هي لحقيقة الإنسان نفسه، وليس لمكانه أو جسده. ولهذا السبب، فإنَّ أهل البيت عليهم السلام في بيانات عديدةٍ، قدَّموا معرفةَ النَّفس جنبًا إلى جنب مع معرفة الربِّ، بصفتها أنفع المعارف.[٢]

أوَّلًا: رُؤية مُلَّا صَدرَا لآدم الخَليفَة

يَرى (مُلَّا صَدرَا) أنَّ الآيات المُتعلّقةَ بخِلافة آدم عليه السلام، تُشير إلى سَير النَّفس الإنسانيَّة من عالَم الوحدة إلى عالَم الكَثرة، ثُمَّ العودة بناءً على الإرادة والاختيار إلى العوالم نفسها[٣]. وفي بيان أهمية هذا الموضوع، يقول: "مفتاح المعارف المُتعلّقة بالقِيامة والآخرة هو معرفة النَّفس؛ لأنَّ النَّفس هي منشأ وموضوع لجميع المقامات الأُخروية، والصّراط والكتاب والميزان والأعراف والجنَّة والنَّار، هي في الحقيقة نفس مراتب النَّفس ومدارجها الَّتي أُشير إليها في القُرآن، وفي أحاديث أئمّتنا"[٤].

إنَّ قصَّة آدم عليه السلام في بيان الأنبياء والحُكماء، من قبيل قصَّة "سَلامَان وآبسَال"، وقصَّة "الحَمَامة المُطوَّقة" في كتاب "كليلة ودِمنة"، وقصَّة "حَيّ بن يَقظان"، و"القصيدة العَينيَّة" لـ(ابن سينا) و...، قد رُويت بالإشارة والرَّمز، ولكن يُعدّ (مُلَّا صدرا) وحُكماء الصَّدرائيَّة الجُدد، هم من أبدعوا وتمكَّنوا من تقديم رؤية أكثر دقَّة في هذا الخُصوص -وهو تفسير مقام الإنسانيَّة- نتيجةً لاطّلاعهم على تحقيقات السَّابقين، وإشرافهم على المصادر الدّينيَّة والحِكَميَّة.

إنَّ التَّتبُع التَّاريخي في الوثائق والنُّصوص الدّينيَّة، وآثار الحُكماء الإلهيّين وتمحيصها والتَّدقيق فيها، يُظهر أنَّ سكن آدم عليه السلام في الجنَّة الأُولَى والهُبوط منها، كان موضعَ اهتمام كثيرين مِنهم. ومن جُملة ذلك، ما ينقله (مُلَّا صدرا) عن (أفلاطون) بأنَّ الله أراد بعد خلق العالَم أن يمنحه شرفًا

١ - عبد الله جوادي آملي: تسنيم، ج٣، ص٤٢٦.
٢ - علي الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ج١، ص٤٨٩.
٣ - راجع: محمد بن إبراهيم صدر المتألهين: تفسير القرآن الكريم، ج٢، ص٢٩٩.
٤ - محمد بن إبراهيم صدر المتألهين: الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، ج٩، ص٣١٨.

بواسطة مَوجودٍ عاقِل، فأهبط النَّفس المتَّصِفة بصفة العقل من المَقام الإلهيّ الأرفع إلى الأرض، حتى تكتمل تماميَّة الأرض، وكمالها بوجود النَّفس العاقلة.[١]

كما يُؤوِّل (ابن سينا) في قصَّة "سلامان وآبسال"، وتطبيقه لها على قصَّة آدم عليه السلام، آدم بالنَّفس النَّاطقة والجنَّة بدرجة النَّفس من حيثُ السَّعادة، والهُبوط منها بالسُّقوط من درجة السعادة: "إنَّ المُراد بـ"سلامان" آدم عليه السلام وبـ"آبسال" الجنَّة، فكأنَّه قال، المراد بآدم نفسك النَّاطقة، وبالجنَّة درجات سعادتك، وبإخراج آدم من الجنَّة عند تناوُل البُرّ، انحطاط نفسك عن تلك الدَّرجات عند التفاتها إلى الشَّهوات"[٢]. ويقول في كتاب "رسالة أضحويَّة" إنَّ اقتضاء الذَّات الآدميَّة هو الهُبوط إلى الأرض، لتسير في دار الغُربة بهداية الهُداة الإلهيّين نحو الوحدة[٣]. ويرى كذلك (ابن عربي) أنَّ الهُبوطَ بالنّسبة لآدم عليه السلام خاصٌّ بها (بالذَّات الآدميَّة) لا ماهيَّتها وشيئيَّتها[٤]. ومن جهةٍ أُخرى، فإنَّ الوُجود من الأمور التي تقبل الشِـدَّة والضَّعف، أي أنَّ الوُجود له قابليَّة الحركة الاشـتداديَّة. فالإنسان -بخلاف سائر المَوجودات- موجودٌ دائم الارتقاء، والتَّوسُّع، والانتشار الوُجودي بسبب الحركة الاشـتداديَّة في الجوهر، ولهذا فهو صاحب مَقاماتٍ ودرجاتٍ ومراتب وشؤون وأطوار مُتعدّدَة، وليس له مكان مُحدَّد، ويَحضُر في عوالِم ونشآتٍ مُتعدّدَة، يتَّصل بعضها بالبدن وبعضها الآخر بالعقل[٥]. تقتصر دراسة مراتب العالَم، ومراتب الإنسان -من مَنظور الفلاسفة غالبًا- على ثلاثة عوالِم: المُجرَّد، والمِثال (البرزخ)، والمادَّة، وهذه المراتب في طول بعضها الآخر[٦]. بعض هذه العوالِم أسمَى وأعلى من عالَم آخر، والعَلاقة بينها اشتداديَّة، والعالَم الأعلى مُحيطٌ بالعالَم الأدنى وهو علَّته[٧]. ولنفس الإنسان أيضًا مراتب طُوليَّة مُتعدّدة بمُحاذاة العوالِم في الخارج، كلٌّ واحدة منها أكمل من المَرتبةِ الَّتي دُونها. وجميع مراتب وجود الإنسان تتمتَّعُ بالتَّجرُّد، ولو على

١ - راجع: محمد بن إبراهيم صدر المتألهين: الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، ج ٨، ص٣٦٠.
٢ - خواجه نصير الدين الطوسي: آغاز وانجام [البدء والختام]، ج ٣، ص٣٦٤.
٣ - راجع: ابن سينا: ترجمه رساله اضحويه [ترجمة رسالة الأضحوية]، ج ١، ص١٢٦.
٤ - راجع: محمد بن إبراهيم صدر المتألهين: الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، ج ٩، ص١٨٥.
٥ - راجع: محمد بن إبراهيم صدر المتألهين: الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، ج ٥، ص٣٠٧.
٦ - راجع: محمد بن إبراهيم صدر المتألهين: الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، ج ٥، ص١٦٤.
٧ - راجع: محمد بن إبراهيم صدر المتألهين: الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، ج ٩، صص٢١-٢٢.

نحـو ضعيف. تُعتبر المرتبـةُ العقلانيَّة هي المَرتبةُ العالية للنَّفس، والمرتبـة الخياليَّة هي مرتبتها المُتوسّطـة، وفي النِّهاية تقع المرتبةُ النَّازلة الحِسـيَّة والطَّبيعيَّة للنَّفس، لذلك فالنَّفس -مع حفظ وحدتها الشَّـخصيَّة- لها مراتب متعدّدة، وهذه المراتب ليسـت مُنفصلَة عن بعضها الآخر. هذه المراتب المُتعدّدَة تحصل للنَّفس تَدريجيًّا بواسطة الحركة في الجَوهر. لذا، فإنَّ إيجاد المراتب العاليـة، لا يعني فُقدان المَراتـب الأدنى والكمالات المتعلقة بها، بل كلُّ مرتبـة مُتمِّمَة للمرتبة السَّـابقة، فالنَّفس مع وجود قُواها الإدراكيَّة والحركيَّة المُتعـدّدَة تتمتَّع بوُجودٍ واحد "النَّفس في وحدتها كـل القوى"[1]. فالنَّفس لها قابليَّة الانتقال من مرتبة الطَّبيعة والتَّجرُّد المِثاليّ والخَياليّ، إلى التَّجرُّد العقلي. والوجود كالدَّائرة له قوسان: القَوس النُّزولي، والقَوس الصُّعودي[2]. فالنَّفس مع حفظ وحدتها الشَّـخصيَّة لها وجود ذو مراتب، وفي بعض مراتبها ماديَّة، وفي بعضها الآخر مُجرَّدة، وهذه المسـألة، لا يُمكن تبيّنها وتفسـيرها إلاَّ مـن خلال أُسس الحِكمـة الصَّدرائيَّة، وأُصولهـا القائمة على أصالة الوجود واعتباريَّة الماهيَّة. وقد أظهـر الله لآدم، في المرحلة التي سبقت عالم الدُّنيا، جميع مَراتب الوُجود الخاصَّة به.

ثَانيًا: مَكانةُ البرَزَخِ النُّزُولي وَالصُّعُوديّ في سُلوكِ آدَم عليه السلام

مـن الموضوعات المُرتبطة ببحث إسكان آدم عليه السلام في الجنَّة، دراسة أنواع «البرزخ» من منظور حُكماء الإسلام. والبرزخ في حد ذاته ينقسم إلى برزخَين: نُزوليّ وصُعوديّ.

البرَزخ الصُّعوديُّ: هو الذي يدخله الإنسـان بعد الموت. في هذا البرزخ، يكون الإنسان بعيدًا عن مُتناول الشَّيطان ووَساوِسه.

أمَّا البرزخُ النُّزوليُّ، فيقع بين التَّجرُّد التَّامِّ العقليّ، وعالَم الطَّبيعة، ويمُكن للإنسان أن يكون فيه، وأن يُخبر عنه، وأن يستفيد من نعيمه الذي لا حدودَ له، وأن يَهدي الآخرين إليه.

كما أنَّ دُخول الإنسان إلى البرزخ على نوعَين: نوع يَحصل بالموت الطَّبيعيّ والهجرة من حدود الطَّبيعة، وهذا النَّوع من الدُّخول البرزخي هو الشَّائع في الأذهان، ونوع آخر يَحصل بدون موت طبيعي، بل بالموت الإراديّ والهجرةِ الاختياريَّة من عالَم الدُّنيا؛ أي أنَّ الإنسان السَّالك -أحيانًا-

١ - محمد بن إبراهيم صدر المتألهين: الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، ج ٢، ص٢٣٨.

٢ - راجع: محمد بن إبراهيم صدر المتألهين: المبدأ والمعاد، ص ٢٠٥-٢٠٦.

تُصيبــه حالة يدخل فيها، وهو على قيد الحياة، وفي تمــام الصّحة واليَقظة، إلى مرحلة أعلى من عالَم الطَّبيعة؛ حيثُ توجد حقائق عينيَّة، لا وهميَّة، وإمكانيَّة التَّحفُّظ من وَسوسة إبليس مَوجودة، كما أن إمكانيَّة نفوذه مُتاحة أيضًــا، لأنَّ هذه المرحلة الوُجوديَّة تُعدُّ أدنى من مرحلة المُخلَصين الَّتي لا مجال فيها لنفوذ إبليس[1].

ثَالثًا: ضَرُورَةُ وُجُود جَنَّة أَوَّلِيَّة ليكتَشفَ آدَمُ عليه السلام ذَاته

تُعتَبر الجنَّة البَرزخيَّة محلًّا لعرض الحقيقة الوُجوديَّة للإنســان ولجميع كمالاته وضعفه، وهي أيضًا موطن اكتشــافه لذاته. وحين عُرِضَت الجنَّة النُّزوليَّة على آدم عليه السلام والاستقرار فيها، ظَهَرَت مكانته وموقعه. وقد كان اكتشاف الذَّات في ذلك المكان، بمعنى أنَّه على الرَّغم من اختيار الجنَّة لســكن الإنسان، ولكن هذا الإنســان لم يكن لديه القُدرة على مُقاومة وَسوَسة الشَّيطان. لذلك، وباقترابه من شــجرة الحيــاة اختار الهُبوط إلى الأرض. فعِصيــان آدم في الجنَّة يُظهر حقيقة ذاته لنفســه؛ أي أنَّ الإنسان يختار صعوباتِ الأرض بإرادته، ويبحث عن جنَّة لا يخشى الهُبوط منها في كــل لحظة، ويكون مُخلَّدًا فيها، وقد حصل عليها نتيجة جهده وعمله. لذلك، فإنَّ السُّــؤال المُهِــم حول موضوع الإسكان الأوَّلي لآدم عليه السلام في الجنَّة، هو سؤال يجب التَّأمُّل والتَّدقيق فيه، وحاصله أنَّه: إذا لم يصنع الإنســان لنفسه جنَّةً أبديَّةً في الأرض، فهل ستكون تلك الجنَّة الأوَّليَّة رأس ماله، في حين أنَّه لم يصنعها بأعماله؟

يُستفاد من ظاهر الآيات المُتعلّقة بمسألة السَّكن في الجنَّة، أنَّ آدم عليه السلام خُلق في الحقيقة للحياة والسَّــكن في الأرض، لكنَّ الله أسكنه أوَّلًا في الجنَّة ليبتليه ويختــبره، ثُمَّ علَّمه الأسماء الإلهيَّة، وأمر جميعَ الملائكة بالسُّجود له. كان عليه في الجنَّة الأوَّليَّة أن يتعلَّم كيفيَّة الحياة على الأرض، ناظرًا إلى التَّعاليم الإلهيَّة، ومُتمسّكًا بها لكي يعرف صديقه وعدوَّه، وحيوانيَّته الدَّاخليَّة، وشيطانه الخارجــيَّ، ويطأ الأرض وهو بهذا الاستعداد. وقد حســد الشَّــيطان آدم عليه السلام بســبب سعيه إلى الكمال، وميله إلى الخُلود في المكانــة العظيمة التي كان فيها، وهكذا فقد وَسوَس له، فأكل من شــجرة الحيوانيَّة وهبط بهذه الطريقة إلى الأرض، لذلك فإنَّ قصَّة آدم عليه السلام تُعبّر عن حقيقة جميع

١ - راجع: عبد الله جوادي آملي: تسنيم، ج ٣، ص٣٣٣.

البشر.

يقول (الإمام الخميني) قدس سره فيما يتعلّق بضرورة الحضور التّمهيديّ لآدم عليه السلام في الجنّة، والسير من الوحدة إلى الكثرة ببُعده الآدميّ: «إذًا، لخطيئة آدم وذريّة آدم مراتب ومظاهر. كما أنّ أوّل مرتبة منها هي الالتفات إلى الكَثرَات الأسمائيّة، وآخر مظهر لها هو الأكل من الشجرة المنهيّة، التي صُورتها الملكوتيّة شجرة فيها أنواع الثّمار والفواكه، وصُورتها المُلكيّة هي الطّبيعة وشؤونها، وحبُّ الدُّنيا والنّفس، الذي هو الآن في هذه الذريّة، هو من شؤون ذلك المَيل إلى الشّجرة وأكلها»[1].

ويقول العلاّمةُ (الطباطبائي) عن ضرورة الحُضور التّمهيديّ لآدم عليه السلام في الجَنّة: "يتبيّن من قصّة جنّة آدم أنّ الله قبل أن يستقر آدمُ عليه السلام في الأرض، خلق جنّة برزخيّة وسماويّة أسكنه فيها، ونهاه عن الأكل من الشّجرة المذكورة، لكي يختبر بهذه الوسيلة الطّبيعة البشريّة، ثُمّ يعلم أنّ البَشر لن ينالوا السّعادةَ والجنّة الأبديّة إلاّ بسلوك هذا الطريق، وأن يتربىّ في بيئة الأوامر والنّواهي والتّكليف والامتثال، ومن المُحال أن يصلَ إلى مقام القُرب من الله دون ذلك. إنّ الوَسوَسة لازمةٌ لتكامُل الإنسان. فوجود الشّيطان بالنّسبة للصّراط المُستقيم هو بمنزلة حافة الطّريق وجانبه، وكما أنّ الطّريق لا معنى له بدون حافة واستحالة تحقُّقه، فإنّ النّظام التّكامُلي بدون الشّيطان في الواقع مُستحيل التّحقُّق"[2].

السُّؤال الذي يطرح هنا هو: ألم يكُن من المُمكن أن تُجري هذه الاختبارات والابتلاءات لآدم عليه السلام في الأرض؟ كما ورد في بيان الحُكماء، وأُشير إليه في النُّصوص الدّينيّة، أنّ الأرض دار تكليف وعمل اختياريّ. وقد كان آدم عليه السلام أوّل إنسان، ولم يكن لديه علم بالتّكليف والعداوة والخِداع والكَذب وأمثالها، لذلك انخدع بقَسَم الشّيطان الكاذب وادعائه الخير. لهذا السبب، أخرجه الله المُتعال من نِطاق التّكليف الشّرعيّ، وكلّفه تكليفًا إرشاديًّا. وبتعبير آخر، أجرى الله المُتعال اختبارًا تجريبيًّا لآدم عليه السلام ليكون لديه الاستعداد اللاّزم للاختبار الحقيقي، وهو الحياة في الأرض. لذلك، كان امتحانه في الجنّة اختبارًا إرشاديًّا لإظهار الطّريق.

يقول العلاّمة (الطهراني): "الجنّة الأولى سُمّيت جنّةٌ لأنّ التّكليف فيها ليس كعالم الطّبيعة،

---

١ - روح الله الخميني: آداب الصلاة، ص٧٢.

٢ - محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج ٨، ص ٤٦.

لا حركة ولا اضطـراب؛ إنَّها طهارة وتنزيه، ولكنَّ الطَّهارة في مرحلة القابليَّة فقط. أمَّا في الدُّنيا، فكلُّ مسائل التَّكليف والأمر والنَّهي والطَّاعة والمعصية والجهاد مع النَّفس الأمَّارة والحركة نحو المبـدأ الأعلى موجودة ... خروج آدم مـن الجنَّة كان لكماله، لا لنقصه، فلو لم يخرج لبقي إلى الأبـد في بيت الاستعداد ومنزل القابليَّة في مكانه متوقّفًا؛ ولكن بالنُّزول إلى عالم الطَّبيعة، وأداء التَّكاليف الإلهيَّة درجة بعد درجة بإرادته واختياره، يسـلك الطَّريق ويبلغ جميع مراتب استعداد البشريَّة وقُوى الإنسـانيَّة إلى أعلى درجة من الكمال والفِعليَّة، ثُمَّ يسير في الجنَّة الثَّانية التي هي بعد الدُّنيا ويتمَكَّنْ فيها"[١].

لقد شـاهد آدم عليه السلام في الجنَّة ملكوت العالم وحقيقة وجوده دون عناء ومشقَّة، ولكنَّه فقد هذا المقام بوَسوَسة الشَّـيطان، ولذا ينبغي عليه أن يسـتعيد ذلك بالجهـد ومُحاولة العودة إلى ذلك المَقام. هذا السَّير ليس خاصًّا بآدم عليه السلام فحسب، بل هو متعلق بجميع البشر[٢].

رَابِعًا: وَسوَسةُ إبلِيس كَانَت مَنشَأَ الهُبُوط

يـرى (ابن عربي) والعديد من الحُكماء الإلهيّـين، إنَّ المَقصود بالأكل الرَّغيد في الآية ٣٥ من «سـورة البقرة» هو التَّمتُّـع بالنّعم المعنويَّة اللامُتناهية في عالم البرزخ، والَّتي بمجرَّد شُـهودها، استغرق فيها آدم عليه السلام إلى أقصى حدٍّ وأحبَّ الخُلود فيها. فآدم بشُهوده لتلك النَّعم، شاهد أهليَّته واستحقاقـه الذَّاتي لنيل تلـك المقامات، ومن البديهي أنَّه لا يُمكن أن ينشـأ انجذاب ذاتيٌّ بين المحبوب والمُحب، إلَّا إذا كان هناك توافقٌ واتّحادٌ وجوديٌّ بينهما. فضلاً عن ذلك، شـاهد آدم عليه السلام تمَتُّعَ الملائكة الدَّائم بالفيوضات المعنويَّة النَّاجمة عن ميزة تجرُّدهم[٣].

ومن ناحيةٍ أُخرى، إنَّ آدم عليه السلام في الأصل هو من نفخة الرُّوح الإلهيَّة، وقد خُلق لتعلُّم الأسماء وتسـنُّم مقام خلافة الله. لذلك، تعلَّقت الإرادة التكوينيَّة لله بأن يهبط من ذلك المقام المُتوسّط الذي ناله دون عناء إلى الدُّنيا[٤]، ليُظهر جامعيَّة وجوده للحضور في جميع مراتب الوُجود، وليُتاح

١ - محمد حسين الطهراني: الله شناسى [معرفة الله]، ج ٣، ص١٦٦.

٢ - محمد حسين الطباطبائي: مجموعة رسائل، ج ٢، ١٠٦.

٣ - راجع: محيي الدين بن عربي: تفسير ابن عربي (تأويلات عبد الرزاق)، ج١، ص٢٥.

٤ - تقع الجنَّة البرزخيَّة التي كان فيها آدم قبل هبوطه في قوس النُّزول، وهي أدنى من مرتبة الأسماء ومقام خلافة الله.

له إمكانيَّة سلوك الكمال في قَوس الصُّعود[١].

ومن البديهيّ، أنَّ السَّـير الصُّعودي المُتعالي لا يتيسَّر إلَّا من خـلال عالم المادَّة والاستعداد، مصحوبًـا بالمُعاناة والمشـقَّة، والمصائب الكثيرة. فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: "إنَّ أَشَـدَّ النَّاسِ بَـلاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الأَمْثَـلُ فَالأَمْثَلُ"[٢]. ولذا، فعلى الرَّغم من أنَّ الله نهى آدم بأمر إرشـادي عن الاقتراب من عالم الكَثرات، ولكن إرادتـه التكوينيَّة فيما يتعلَّق بآدم عليه السلام، استقرَّت على أن يتوجَّه إلى عالم الكَثرات والشَّهوات، حتى تتهيَّأ جميع الظروف لسيره الصُّعودي. وعلى الرَّغـم من أن آدم عليه السلام لم يرغب في فُقدان كل هذا البهجة والسُّرور المعنويّ، استغل الشَّـيطان انجذاب آدم عليه السلام الفِطريَّ نحو المكانة التي يسـتحقها بطبيعته؛ حيثُ كان يحسـد آدم عليه السلام على مقاماتـه الرَّفيعة. لذا، وجَّهه نحو الكَثرَات والشَّـهوات الدُّنيويَّة. هذه هي صفة الشَّـيطان، وكما صرَّح القرآن، فهو دائمًا يشعر بالحسد تجاه مقام الإنسان في خلافة الله، فهو يتربَّص ويقعد في كل حين ليمنع آدم، وبني آدم من الوصول إلى هذا المقام الرَّفيع.

وبعبـارة أُخرى، كلُّ وَساوِس الشَّـيطان، هي مظاهر جهودِه وجهود جنوده لإهباط الإنسـان مـن مقام خلافة اللـه الرَّفيع وعرض الأمانة. لقد بيَّن القُرآن في قصَّـة آدم عليه السلام بالتَّفصيل قَوس النُّزول، ليفهم جميع الناس حلاوة الحقيقةِ الوُجوديَّة الكامنة فيهم وجاذبيَّتها. فكل إنسان، إذا أزيح الحجاب عنه، سيُفتَتن بلا حدود بتلك الحقيقة الجذّابة في داخله. إن حب الوصول إلى الذات الحقيقية موجود في كل إنسـان، ولكن الإنسان محجوب عن نفسه مع الأسف. فكلما زاد البُعد زاد العشـق، وبمقدار العشـق يزداد الأنين، وبمقدار الأنين تكون التوبة أكثر واقعية. برؤية القرآن، إن هذا السـير بالنسـبة للإنسـان لا يمكن إلا عن طريق التوسل والتمسك بأهل البيـت عليهم السلام؛ إذ إنهم الظهـور العيني للإمام الحيّ، أي قطب عالم الإمكـان. إذًا، فالإصغاء إلى وساوس الشـيطان لا يؤدي إلا إلى الهبوط. وبناءً على بيان القـرآن ﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّـا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة: ٣٨]، فـإن مفتاح الوصول والعروج إلى هذه المكانة العليـا والأرفع هو اتباع الشرائع الإلهية وطاعة الأنبياء والمعصومين عليهم السلام.

---

١ - راجع: جواد القيومي الإصفهاني: صحيفة الإمام الهادي، ج ١، ص٢١٢.

٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٢، ص٢٥٢.

خَامسًا: الهُبُوطُ (بدَايَةُ السَّير من الوحدة إلَى الكَثرَة)

إنَّ مَا يُطرح على أنَّه هبوطٌ، هو في الواقع هبوطُ إنسانيَّة الإنسان من العالم العُلوي إلى نشأة الطَّبيعة. وقد انتقل آدم (عليه السلام) نتيجة نشوءٍ عابرٍ لثمرة الشَّجرة الممنوعة، من نشأة ما فوق الطَّبيعة إلى حُدود الطَّبيعة. ومثل هذا الانتقال لا يُمكن أن يكون أبدًا تنزُّلاً بدنيًّا ومكانيًّا خلافًا لما يتصوَّره العديدُ من المُفسّرين الإخباريّين. وبالتَّالي، إنَّ هذا الانتقال ليس سوى تنزُّل وجوديّ ومقاميّ[1]، تمامًا مثل تنزُّل القُرآن من عند الله -سبحانه- لهداية النَّاس[2].

يُفهمُ من سياق آيات القُرآن، أنَّ المقصود الأصليَّ من خلق آدم، هو أن يسكنَ في الأرض. النُّقطة المهمَّة هي أنَّ -حسب رؤية هؤلاء المُفسّرين- طريقَ الهبوط الأرضي لآدم(ع) بدايةً، السَّكنُ في الجنَّة ليجري إثبات أفضليَّته على الملائكة، ولياقته وكفايته للاستخلاف الإلهيّ، ثُمَّ تُؤمر الملائكة بالسُّجود له، ويُنهَى عن الاقتراب من تلك الشجرة، لكنَّه يأكل منها بعد أن أغواه الشَّيطانُ، ويهبط أخيرًا إلى الأرض[3].

إنَّ الهُبوط، هو نتيجة للاقتراب من الكثرة. فاهتمام الإنسان بالدُّنيا يعني الهبوط من الجنَّة البرزخيَّة، ويشمل ذلك جميعَ البشر. في الحقيقة، إنَّ طبيعة آدم والآدميَّة يتطلَّب القُرب من الشَّجرة، والهُبوط والاستقرار على الأرض؛ لأنَّ لزوم الوصول إلى الكمال هو الهبوط. إنَّ تركيز الرُّوح على مرحلة الطَّبيعة والمادَّة يُحرّفه عن الحُضور ويهبط به، لكنَّ القضيَّةَ هي، أنَّه وبمساعدة الهُداة الإلهيّين عليه أن يبدأ السَّير تارةً أُخرى نحو الوحدة، مُكابدًا وساعيًا ومتحمّلاً لصعوبات الحياة، والقيام بالشَّريعة الإلهيَّة ﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة: ٣٨]. كان خطأ آدم (عليه السلام) سببًا في تنزُّله في العالَم، وأفضى ذلك إلى سيره وسلوكه نحو التَّعالي والكمال. فالمجيء من الجنَّة البرزخيَّة إلى عالم الدُّنيا، هو توجُّهٌ من الكمال نحو النُّقصان، والرُّجوع من الدُّنيا إلى الجنَّة هو توجُّه من النُّقصان نحو الكمال. وليس للإنسان من بُدّ من هذا المسير، فهو في البداية نَزَلَ وهَبَطَ ثُمَّ عَرَجَ وصَعَد. لذلك، فإنَّ آدم (عليه السلام) قَبِل بهذه الشُّروط، وكان محتاجًا للهبوط لكي يصعد، فأساس الكمال هو التَّنزُّل وطيُّ طريق الدُّنيا المليء

---

١ - من حيث المكانة وليس المكان (م)

٢ - عبد الله جوادي آملي: تسنيم، ج ٣، ص٣٨٢-٣٨٣ و ٤٠٦.

٣ - محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج١، ص ١٧٤-١٨١.

بالصَّواعـد والنَّوازل. ويُعدُّ هذا من لوازم هذه الحركة؛ لأنَّ الإنسـان يُدرك أسرارَه الخفيَّة في ذاته، وعالمُ الوجود ضمـن عمليَّةٍ مليئة بالتَّضاد والآلام والأسقام. إذًا، تنزُّل آدم عليه السلام يُسـاوي استقراره على سكَّة التَّكامل[١]. إنَّ نيل مقام الولاية الَّذي كان مطمحًا لآدم عليه السلام، لم يكُن مُتاحًا بدون تحمُّل العناء، وبـدون الاختيار والهُبوط، وللوصول إلى هذا المقام ينبغي أن يُبقِي نفسـه في أُتون البلاء والعناء. لذلك، ثمَّة حكمة في البلاء يغفلُ عنها المُبتَلَون. فالبلاء يصقل فولاذ الوجود الإنسـانيّ، ويُفعّل الصّفات الفِطريَّة والشؤون الذَّاتيَّة الخاصَّة به[٢].

سَادسًا: الأَرضُ هي نُقطةُ البدايَة في التَّحرُّك من الكَثرَة نَحوَ الوحدَة

لتحقُّق البُعد الآدميّ لكلّ إنسـان، عَليه المجيء من مقام البرزخ النُّـزوليّ والجنَّة الأَوَّليَّة، من خلال أكله للشَّـجرة المنهيّ عنها، والتَّوجُّه نحو الدُّنيا الخَربة، وأن يبدأ حياتَه التَّكامُليَّة هنا. لقد كـان الإسكان في الجنَّة مُنذ البداية إسكانًا مؤقَّتًا لطيّ مرحلة تمرينيَّة وتجريبيَّة؛ ليتعرَّف آدم على أنواع المكر والحِيل لدى عدوّه، وأن يتذوَّق مرارة العِصيان وآثاره المُؤلمة، وأن يتعلَّمَ أيضًا طريقَ التَّوبـة والأَوبة. ويتَّضح بأنَّ البشرَ بدون طيّهم للحيـاة الأرضيَّة وحُضورهم في مُحيط من الأمر والنَّهي والتَّكليف والتَّربية، لا يُمكنهم نيل السَّـعادة والجنَّة الأبديَّة. إذًا، من المُستحيل أن يصلَ الإنسـان إلى مقام القُرب المسـتقرّ دون طيّ الحياة الأرضيَّة[٣]. وهذا ما جعله الله حتميًّا، وهو وجود خليفة في الأرض. لكن، ثمَّة حقائق لدى آدم (الإنسان) ينبغي أن تظهر في عالم الملكوت؛ حيـث إنّ لهذه الأمورَ قابليَّة الظُّهور والتَّعيُّن في ذلـك العالم، وهناك ينبغي إظهارُ سرّ آدم لآدم؛ لأنَّـه لا طاقة للأرض والدُّنيا على استيعاب التَّعـيُّن والظُّهور كاملاً في مكان ووقت واحد، ففي الأرض يطُول الأمرُ لسـنوات لتتَّضح كلمةٌ من عوالم الغَيب لرُوح الإنسان، فهناك ينبغي أن تُبيَّن جميع أنواع الضَّعف للإنسان في وقتٍ واحد ويبدأ بعد ذلك سَيره التَّكامُليّ من الأرض[٤].

---

١ - راجع: نصير الدين الطوسي: آغاز وانجام [البدء والختام]، ص٣٥.

٢ - راجع: مرتضى آويني: رستاخيز روح [بعث الروح]، ص٨٦ .

٣ - راجع: عبد الله جوادي آملي: تسنيم، ج٣، ص١٧-١٨ و٣٣٥؛ محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج٨، ص٤٧.

٤ - أصغر طاهر زاده: هدف حيات زمينى آدم [الهدف من الحياة الدنيوية لآدم]، ص٩٤.

سَابعًا: الشَّريعَةُ هي الطَّريقُ الرَّئيسُ للوُصولِ إلى الحَقيقَة والكَمال

إنَّ النُّقطة المُهمَّةَ في قصَّة آدم (عليه السلام)، هي الاختلافُ الجوهريُّ بينها وبين بقيَّة القصص القُرآني. برأي الحُكماء، إنَّ الله يدعو الإنسان في الآيات المُتعلّقة بقصَّة آدم (عليه السلام) لفهم مراتب الوُجود، والمكانة الرَّفيعة للإنسانيَّة في النّظام الأحسن، ويُذَكِّر باستخلاف الإنسان وتعليمه جميع الأسماء الإلهيَّة (الحقائق التَّوحيديَّة) دون أيّ نقصٍ أو عيب.

ولا يَنظر القرآن الكريم إلى هذا الموضوع نظرةً قصصيَّة، بل يدعو إلى فهم مراتب الوُجود، ويُشير إلى سَير الإنسان من البرَزخ النُّزوليّ إلى الدُّنيا، ومن الدُّنيا إلى البرَزخ الصُّعوديّ. لذلك، فإنَّ مُراد الله في هذا التَّقرير، هو بيان مكانة الشَّريعة في عالم الوُجود، وفي وجود الإنسان. لذا، فإنَّ الشَّرط الأوَّل للفهم الصَّحيح لقصَّة آدم هو السَّير من ظاهر الدّين إلى باطنه، ويجب تجاوز الفكرة القائلة بأنَّ أحكام الدّين هي أمور اعتباريَّة مَحضَة، والوُصول إلى حقيقة أنَّ أحكام الدّين هي ظهور للحقائق التَّكوينيَّة في العالم[1]. فلجميع التَّعاليم الدّينيَّة حقيقةٌ في العالَم العُلويّ والمَلَكُوتيّ، ولكن تجلّيها في عالم المادَّة يكون على شكل أوامر ونواهٍ أو حلال وحرام.

إذًا، ليست التَّعاليم الدّينيَّة مجرَّد تعليمات اعتباريَّة وتعاقُديَّة، بل لكلّ منها حقيقةٌ تكوينيَّةٌ ومِفتاحٌ للدُّخول إلى عالم المَلكوت. جميع أوامر الله للإنسان في الحياة الأرضيَّة مُتجذّرةٌ في إنسانيَّة الإنسان وفي نِظامه التَّكويني. نعم، يعيش الإنسان ظاهريًّا في نظام تعاقُديّ واعتباريّ، ولكنَّه باطنيًّا وحقيقةً يعيش في نظام طبيعيّ وتكوينيّ. يُؤدّي فَهم هذه المسألة، إلى فَهم صحيح لمكانة الشَّريعة. وأنَّ الله بطرح موضوع الجنَّة النُّزوليَّة لآدم، يُريد أن يُوضّح للإنسان مكانةَ الشَّريعةِ في الحياة الأرضيَّة، حتَّى تتَّضح من خلال ذلك فلسفة العُبوديَّة والعِبادة. وعندما يتَّضح المعنى الوُجوديُّ والتَّكوينيُّ لهذه الأعمال، فإنَّ الشَّريعة تبعًا لذلك تُظهر للإنسان معناها التَّكليفيَّ وسيكون مكانه بعد الهُبوط الأرض؛ بمعنى أنَّه باتّباع الشَّريعة الإلهيَّة يسير نحو الجنَّة المَوعودة.

وعليه، إنّ النُّقطة المُهمَّةُ الَّتي يجب الانتباه إليها في هذه الآيات، هي ضرورة السَّير الصُّعوديّ للإنسان بعد الهُبوط، والَّذي لا يُمكن -كما صرَّح القرآن- إلَّا بهداية الهُداة الإلهيّين، والتَّمسُّك بهم، ويُعبّر عن أحكام الشَّريعة بصفتها وسيلة للسَّير الصُّعوديّ إلى عالَم المَلكُوت.

---

١ - أصغر طاهرزاده: هدف حيات زميني آدم [الهدف من الحياة الدنيوية لآدم]، ص ١١٨

ثَامنًا: مَقَامُ خلاَفَة آدم لله عليه السلام: تمَثيلٌ أم وَاقِعٌ؟

يعتَمـد أُسلـوبُ القُـرآن في الأسـاس، عـلى عـرض المَعقُـولات والحقائـق الَّتـي تتجاوز المَحسـوسات، والَّتي هي أبعد بكثير من الإدراك البَشري المَحدود، بمُسـاعدة التَّمثيل وتشبيه المَعقول بالمَحسـوس، وذلـك لإتاحة إمكانيَّة الفَهم للجميع. تُشـاهِد هذه الطَّريقة في قَصص الأنبيـاء خاصَّة. فأعمق الحقائق القُرآنيَّة تكون قابلةً للفَهم البشريّ من خلال التَّصوير، فالتَّمثيل في القصَّة لا يعني التَّخيُّل وعدم وجود واقع خارجيّ، بل هو للتَّقريب إلى الذّهن قدرَ الإمكان.

لا يعدّ معظم حُكماء المدرسة الصَّدرائيَّة الحديثة -اقتداءً بـ(مُلاَّ صدرا)- أنَّ قصَّة آدم قصَّةٌ رمزيَّة؛ بل يعتقدون أنَّ هذه القصَّة شخصيَّة عينيَّة، وخارجيَّة تمامًا، وأنَّ لها مجرىً واقعيًّا؛ ولكنَّ الله في هذه القصَّة بصدد تربية خليفة، وقد طَرح آدم كنَموذج. فقصَّة الخلافة ليسـت كقصَّة سفينة نُوح عليه السلام، أو سفينة مُوسى والخضر عليه السلام، الَّتي تتحدَّث عن شَـخصٍ مُعينَّ له حضور خارجي مَضَى وانتهى، بل هي -مثل أصل الإنسـانيَّة- فيضٌ مُتَّصلٌ وفوزٌ مسـتمرٌّ[1]. ينبغـي أن يكون الخليفة حـاضرًا في جميع عوالم الوُجود، من عالَم الأسماء والصّفـات، إلى عالَم العقل وعالَم البَرزخ وعالَم المادَّة، وبعبارةٍ أخرى، أينما وُجد الله، يجب أن يكون خليفته حاضرًا أيضًا.

يُصـوّر الله قصَّةَ حُضور آدم عليه السلام في الجنَّة البرزخيَّة، الَّتي هي من ناحيةِ التَّجرُّد أعلى مرتبة من عالَم الدُّنيا. يقول (آية الله جوادي): "إنَّ قصَّة تعليم الأسماء، وسُجود الملائكة، وعداوة إبليس ناظرة في الأصل إلى مقام الآدميَّة، وليس شخص آدم، ولو كان في بُرهة خاصَّة آدم الشَّخص عليه السلام هو المصـداق لذلك الأصل"[2]. برأيّ العلاَّمة (الطباطبـائي)(ره)، قصَّة آدم هي تمثيلٌ يجد كل من يُدقّق فيه حالهُ: "قصة جنَّة آدم بكلّ خصوصيَّاتها مثال يمُثّل المَصير والمُسـتقبل لكلّ واحد من أبنائه حتَّى يوم القِيامَة، مع نَهيّ آدم عن الاقتراب من الشَّجرة تمُثّل الدَّعوات الدّينيَّة والهداية الإلهيَّة بعد آدم، وبعصيان آدم الذي سُمّيَّ نسـيان العهد، يتمثَّل عِصيان أبنائه النَّاشئ عن نسيان ذِكـر الله وذكر آياته؛ والفَرق الوحيد بين آدم وبني آدم هو أنَّ اختبار آدم كان قبل تشريع الشَّرائع، ونتيجة لذلك كان النَّهي الذي وُجّهَ إليه إرشـاديًّا، كانت مخالفته تركًا للأَولى، ولكن اختبار بني

١ - عبد الله جوادي آملي: تسنيم، ج٣، ص١٣٧

٢ - عبد الله جوادي آملي: سيره پيامبران [سيرة الأنبياء]، ج٦، ص٢٠٤

آدم بعـد تشريع الدّين، ومُخالفتهم هو عصيان أمر مولويّ لله، وفي حالة ارتكاب الخطأ يصلُون إلى جهنَّم، في حين الرُّجوع عن ذلك الخطأ يُوصلهم إلى دار السَّعادة"[1].

كان آدم (ع) بصفته شخصيّة حقيقيّة يحمل على عاتقه مَسؤوليَّة خلافة الله، وبما أنَّ هذا المقام هو مقام تشـكيكيٌّ[2]، فإنَّ دائرة شُموله تشمل جميعَ البشر؛ لأنَّ القرآنَ الكريم قدَّم تقريرَه الخاص بقرار جعـل الخليفة بصيغة جُملة اسمية تُعبرّ عن إفادة الاستمرار. فقـد أَوكَل زِمام الأرض، والقُدرة على التَّسـخير، واكتشـاف المنافع والإمكانات الموجودة فيها، والاستفادة من بركاتها وآثارها إلى النَّوع الإنسـانيّ، وليس لإنسـان مُعينَّ. ومن ناحية أُخرى، فإنَّ الإلمام بالأسماء ليس خاصًّا بآدم عليه السلام، بل هو مُـودع فيه وفي جميع أبنائه بالقُوَّة (كامن فيه) بحيث إذا استطاع أيُّ إنسـان أن يُفَعِّلهُ بالسَّـير في طريق الحق، ويُظهر آثاره وينال نصيبًا من علم الأسماء الإلهيَّة، فإنَّه سيتمتَّع بقدرٍ من الخِلافة الإلهيَّة أيضًا[3]. على حدّ تعبير الحُكماء، فإنَّ الله جعل أصلَ الخلق يَدُور ويَتَمحور حول خلق الإنسان.

خاتمة:

مع دراسة مُؤلَّفات (مُلاَّ صدرا) وحُكماء المَدرسة الصَّدرائيَّة الجُدُد، المُسـتندة إلى النُّصوص الدينيَّة، بخصوص حُضور آدم عليه السلام في الجنَّة وهبوطه منها، وصل البَحثُ إلى النَّتيجة الآتية:

إنَّ تقرير خلق آدم عليه السلام في القرآن، يحمل وجوهًا جماليَّة ومعرفيَّة، ومعرفة هذه المسـألة ترتبط ارتباطًـا مُبـاشرًا بمعرفة النَّفس والرَّبّ. لقد أظهـر الله في الجنَّة البرَزخيَّة إجـمالاً، كُلَّ الحقيقة الوُجوديَّة لآدم عليه السلام، الَّتي هي معرفة النَّفس في ثلاث مراتب:

١. مرتبة الأسماء والصّفات ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْـمَاءَ كُلَّهَا**﴾ [البقرة: ٣١]. وهي تفصيل مقام خليفة الله.

٢. مرتبة تعليم الملائكة ﴿**أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ**﴾ [البقرة: ٣٣].

٣. مرتبة الحيوانيَّة، والاقتراب من الشَّجرة المنهيَّة. وبعبارة أُخرى، عُرِضَ البُعدان التُّرابي

---

١ - محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج ١، ص٢٠٣ و ج ١٤، ص٣١٨

٢ - التشكيك هنا بمعنى التدرّج شدة وضعفًا، كما هو الحال بالنسبة لمفهوم الوجود فإنه تشكيكي أيضًا. (م)

٣ - راجع: عبد الله جوادي آملي، تسنيم، ج ٣، ص٤١

والخلافة الإلهيَّة للإنسان في الجنَّة البرزخيَّة.

إنَّ سَـير مراتب التَّنزُّل لآدم (عليه السلام)، كان بمثابة اختبار تجريبيّ، ولكن في قَوس الصُّعود، يُعدُّ سَير هذه المراتب وتفعيلها بالنّسبة له اختبارًا حقيقيًّا. كما أنَّ الإسكان في الجنَّة كان منذ البداية إسكانًا مؤقَّتًا لاجتياز مرحلة تدريبيَّة واختباريَّة؛ لكي يتعرَّف آدم على مكائد عدوّه وحِيله، ويتذوَّق مرارةَ العِصيان وآثـارَه المؤلمة، ويتعلَّم طريق التَّوبة والرُّجوع. ولتحقُّـق عمليَّة تعليم الأسماء الإلهيَّة وظهورها، ينبغي أن يكون آدم موجودًا في موطن غير الأرض، أي موطن المَلكوت في هذا العالم، ليُثبت فيه تفوُّقه على الملائكة، واكتسـابه خبرة عينيَّة لعداوة الشَّـيطان، واستحقاقه لمقام خليفة الله، وبعد تعليم الأسماء الإلهيَّة يهبط إلى الأرض ليتمكَّن في ذلك الموطن من إيجاد حقيقته.

فالأصل في الكمال هو النُّـزول، واجتياز طريق الدُّنيا المليء بالصُّعود والهُبوط، الذي هو من ضرورات هذه الحركة المُهمَّة؛ لأنَّ الإنسـان في مسـار المُتناقضات والآلام والمعاناة يصل إلى الأسرار الخفيَّـة في ذاته وفي عالم الوُجود. إنَّ نزول آدم (عليه السلام) يعني وضعه على سكَّة التَّطور؛ لأنَّ الهُبوط مُقدمةٌ للصُّعود، ولو لم يكن الهُبوط إلى عالَم الدُّنيا، لَمَا أمكن الصُّعود إلى مقام خليفة الله.

إذًا، فوجود آدم في الجنَّة هو لمصلحة كماليَّة، ومن أقدار الله وسننه. فالحقيقة الآدميَّة لا تتحقَّق إلَّا بالوجود في الجنَّة، ثُمَّ الهبوط منها والسَّـعي للوُصـول إلى مقام الخِلافة الإلهيَّة، والوُصول إلى هذا المقام والمكانة لا يُمكن من دون تحمُّل العناء والمَشـقَّة. لذا، ينبغي على آدم (عليه السلام) أن يبدأ هذا السَّير من الوحدة في البرزخ نزولاً، ثُمَّ يُكمل من كثرة المادَّة مُتَّجهًا نحو الوحدة. وأوَّل شرط للفَهم الصَّحيح لقصَّة آدم، هو السَّـير من ظاهـر الدّين إلى باطنه، والطَّريق الوحيد للعودة إلى الجنَّة والتَّمتُّع بنعيمها الملكوتيّ، هو اتباع أوامر الهُداة الإلهيّين والشَّريعة، ويجب أن ندركَ أنَّـه بهذا المَنظُور لا يُمكن اعتبار أحكام الدّين مُجـرَّد أمور توَافُقيَّة اعتباريَّة مَحضَة، بل كل منها يُعبرّ عن ظُهور لحقائق تكوينيَّة في عالم التَّربية، وهو مِفتاح لعلومٍ إنسـانيَّة في عالم المَلكوت، ودراسات وطريق قويم لتعويض ذلك الهُبوط.

لَائِحةُ المَصَادِر والمَرَاجِع

١. القرآن الكريم.
٢. الكتاب المقدس
٣. السـيد جلال الدين آشـتياني: شرح بر زاد المسافر [شرح زاد المسـافر]، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، لا ط، ٢٠٠٢
٤. مرتضى آويني: رستاخيز جان [بعث الروح]، دار واحة للنشر، لامكا، لا ط، ٢٠١٧.
٥. حسـين بن عبد الله بن سينا: رساله اضحويـه [ترجمة رسالة الأضحويـة]، مُتَرجِمها غير معروف، دار اطلاعات لنشر، طهران، لا ط، ١٩٨٥.
٦. محيي الدين ابن عربي: تفسير ابن عربي (تأويلات عبدالرزاق)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا ط، ١٤٢٢ هـ.ق.
٧. _____: الفتوحات المكيَّة، دار الصادر، بيروت، لا ط، لا ت.
٨. عبد الله عمر البيضـاوي: أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨ه.ق.
٩. محمد حسـين الطهراني، الله شناسى [معرفة الله]، دار العلامة الطباطبائي للنشر، مشهد، لا ط، ١٤٢٦ هـ.ق.
١٠. عبد الله جوادى آملي: سيره پيامبران [سيرة الأنبياء]، مركز نشر إسراء، لا ط، ٢٠١٠.
١١. _____: تسنيم، المجلد ٣، مركز نشر إسراء، لا ط، ٢٠٠٩.
١٢. روح الله الخمينى: آداب الصَّلاة، مؤسَّسـة تنظيم ونشر تأليفـات الإمام الخميني، قم، لا ط، ١٩٩١.
١٣. نصير الدين الطوسي: آغاز و انجام [البدء والختام]، تعـ. حسن حسن زاده آملى، مؤسسة نشر العلوم الإنسانيَّة وطباعتها، طهران، لا ط، ١٩٨٧.
١٤. سعاد الحكيم: المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر بيروت، لا ط، لات.
١٥. شهاب الدين السهروردي: مجموعة مصنفات شيخ الإشراق، مؤسسة الدراسات والأبحاث الثقافية، طهران، لا ط، ١٩٩٦.

١٦. محمد بن إبراهيم صدر المتألهين: تفسير القرآن الكريم، تحـ. محمد خواجوي، دار بيدار للنشر، قم، ١٩٨٧.
١٧. المبدأ والمعاد، تصـ. جلال الدين الآشتياني، جمعيَّة الحكمة والفلسفة الإيرانيَّة، طهران، لا ط، ١٩٧٥.
١٨. _____: مفاتيح الغيب، تصـ. محمد خواجوى، طهران، مؤسسة البحوث الثقافية، لا ط، ١٩٨٤.
١٩. _____: الحكمة المتعالية في الأسفار العقليَّة الأربعة، دار إحياء التراث، بيروت، لا ط، ١٩٨١.
٢٠. أصغر طاهر زاده: هدف حيات زمينى آدم [الهدف من الحياة الدُّنيويّة لآدم]، لب الميزان، إصفهان، لا ط، ٢٠٠٨.
٢١. محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ترجـ. بالفارسية السيّد محمد باقر الموسوي الهمداني، بينا، ط٥، قم، ١٩٩٥.
٢٢. _____: مجموعة رسائل، بستان الكتاب، قم، لا ط، ٢٠٠٨.
٢٣. نصير الدين الطوسي: شرح الإشارات والتَّنبيهات، نشر البلاغة، قم، لا ط، ١٩٩٦.
٢٤. أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، تر. مؤيد الدين خوارزمي، النشر العلمي والثقافي، طهران، لا ط، ٢٠٠٧.
٢٥. محمد بن شاه مرتضى الفيض الكاشاني: الوافي، تصـ. فقيه إيماني كمال، مكتبة أمير المؤمنين علي (ع)، إصفهان، لا ط، ١٤٠٦ هـ.ق.
٢٦. علي بن إبراهيم القمّيّ: تفسير قمى [تفسير القمّيّ]، دار الكتاب، قم، ط٤، ١٩٨٨.
٢٧. جواد القيّوميّ الإصفهاني: صحيفه امام هادى [صحيفة الإمام الهاديّ]، مكتب النشر الإسلامي التابع لجامعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، لا ط، ٢٠٠٢.
٢٨. محمد بن يعقوب الكلينيّ: الكافي، تر. مصطفوي، دار نشر المكتبة العلمية الإسلامية، قم، لا ط، ١٩٨٢.
٢٩. كافي الدين أبو الحسن علي الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، تحـ. حسين حسني بيرجندي، مؤسسة دار الحديث الثقافية، لامكا، لا ط، ١٩٩٨.